قصة آية

36

مكانة الشهداء عند ربهم

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى





قالَ (تعالى) :

﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ
يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ
بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ
﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٩ - ١٧١]

قَتَلَ الْمشركونَ في غَزوةِ أُحُدٍ سَبعينَ رجلاً مِنَ الْمُسلمينَ مِن خِيرةِ الصَّحابةِ ، وحَزِنَ أَهلُ هؤلاءِ القَتلَى من أَجلِهِم حُزناً شديداً ، حتى إِنهم كانوا يَبكُونَ كُلَّما تذَكَّرُوهم .

وكانوا كُلَّما أَنْعَمَ اللَّهُ عليهِم بِنعمةٍ أَو سرورٍ

تَذكَّروا إِخوانَهُمْ وقَالوا فى حُزْنٍ :

ـ نحنُ فى النِّعْمةِ والسُّرورِ وآباؤُنا وأَبْناؤُنا وإِخْوانُنا فى الْقُبُورِ .

وكانَ يَزيدُ مِنْ حُزْنِهِم وغَمِّهِمْ ما يَرَوْنَهُ ويَسْمعُونَهُ مِنَ الْمُشْركِينَ ، حيْثُ كانَ الْمُشركونَ يُعَيِّرونَهُمْ بالْهزيمَةِ ويقولونَ فى زَهْوٍ :

ـ لقَدْ ماتَ إِخْوانكُمْ ولَوْ أَطاعونا لَما خَسِروا حياتَهُمْ ولَما حُرِمْتُمْ منِهُمْ .

وذاتَ يومٍ كانَ الصَّحابىُّ الْجَليلُ جابرُ ابنُ عَبْدِ اللَّهِ يتحدَّثُ معَ أُمِّهِ عنْ موتِ أَبيهِ ، وما تسبَّبَ فيهِ موْتُهُ من دُيونٍ لا يسْتطيعُ أنْ يَقْضِيَها ، فبَكَى جابرٌ وقالَ :

ـ رحِمَ اللّهُ أَبى ، فقدْ تركَ لنا حِملاً ثقيلاً نسأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعيننَا على أدائه .

ولم تملِكْ أُمُّـهُ سِوَى الْبُكاءِ حـزْناً على زوْجِها الذى عاشَتْ معهُ أَجْمَلَ أَيَّامِها ثم حُرِمَتْ مِنْهُ فقالتْ :

ـ إنا للَّه وإِنَّا إِلَيْـه راجعُونَ ، اللَّهُمَّ أَجِرْنا فى مُصِيبَتِنا ، وعَوِّضْنا عَنْهُ خَيْراً .

وخرجَ جابرُ بنُ عبدِ اللَّه من بَيْتِه مُتَّجِهاً إِلى الْـمَسجِدِ لكىْ يُصلِّىَ للَّهِ عـسَى أَنْ تَهْدأَ نَفْسُـهُ ويرْتاحَ قَلْبُـهُ ، لأَنَّ الصَلاةَ هى واحَـةُ الْمُؤمِنِ التى يَجدُ فـيها الرَّاحَـةَ والسَّكِينةَ .

وَمَا إِنْ رآهُ الرسولُ ﷺ على هذا الْحالِ حتى لاحَظَ أَنَّهُ حزينٌ مهْمُومٌ ، فاقْتَربَ منْهُ وقالَ له :

ـ يا جابِرُ مالِى أَرَاكَ مهْموماً ؟ فقالَ جابرُ :

ـ يا رسولَ اللَّه ، اسْتُشْهِدَ أَبى وتركَ عِيالاً وعلَيْه دينٌ ، ونَشْعرُ بالْحُزْنِ لِفَقْدِهِ .

فقالَ الرسولُ ﷺ :

ـ أَلا أُبَشِّرُكَ بما لَقِيَ اللَّهُ (عزَّ وجلَّ)بهِ أباكَ ؟

فقالَ جابر فى لَهْفَةٍ :

ـ بلَى يا رسولَ اللَّه !

فقالَ رسولُ اللَّه ﷺ :

ـ إِنَّ اللَّهَ أَحْيا أَباكَ وكلَّمَهُ ، وما كلَّمَ

اللَّهُ أَحداً إلا مِنْ وراءِ حِجابٍ ، فقالَ له اللَّهُ (عزَّوجلَّ) :

ـ عَبْدِى . . سَلْنى أُعْطِكَ :

فقالَ أَبوكَ :

ـ يارَبِّ أَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّنِى ثانيةً إلى الدُّنْيَا فَأُقْتَلَ فيكَ .

فقالَ اللَّهُ (عزَّ وجلَّ) :

ـ إِنَّه قدْ سَبقَ الْقَوْلُ مِنِّى أَنَّهُمْ إِليها لا يَرْجِعونَ .

فقالَ :

ـ يارَبِّ فأَبْلِغْ كافَّةَ الْمُسلمينَ بما نَحْنُ فيه مِنَ النَّعيمِ والْخَيْرِ كَىْ يَزْدادوا فى الْجِهادِ رَغْبَةً .

فقالَ اللَّهُ (عزَّ وجلَّ) :

أَنا أُبْلغُهم عنكُمْ .

فأَنْزلَ اللَّهُ (عزَّ وجلَّ) قولَهُ :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

ولمْ يكدْ جابرُ بْنُ عبدِ اللهِ يسْمعُ ذلكَ حتَّى عادتْ إليْهِ ابْتسامتُهُ وهدأَتْ نَفْسُهُ وارْتاحَ قلْبُه وتمنَّى أَنْ يكونَ له نَفْسُ مصيرِ أَبيهِ .

وجمعَ الرسولُ ﷺ صَحابَتَهُ ، وخاصةً مَنْ قُتِلَ لهُ أَحَدٌ مِنْ أَهلِه وقال لهمْ مُواسيًا :

ـ لَمَّا أُصيبَ إِخوانُكم بِأُحُدٍ ، جَعلَ اللَّهُ أَرْواحَهُمْ فِي أَجْوافِ طَيرٍ خُضْرٍ ، تَرِدُ أَنْهارَ الْجَنةِ وتأْكُلُ منْ ثِمارِها ، وتأْوِى إِلى قَناديلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعلَّقةٍ فِى ظِلِّ الْعَرْشِ ، فلمَّا وجَدوا طِيبَ مَشْرَبِهِمْ ومأْكَلِهم قالوا :

ـ مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوانَنا عنَّا أَنا أَحياءٌ فى الْجَنةِ نُرْزَقُ ، لِئَلاَّ يَزْهَدوا فى الْجِهادِ فى سَبِيلِ اللَّه .

فقالَ اللَّهُ (تعالَى) لهمْ :

ـ أَنا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكمْ .

فأَنْزَلَ اللَّهُ هذه الآياتِ الْكريمةَ التى تَرْفعُ مكانَةَ الشَّهِيدِ وتُعْلِى قَدْرَهُ ، وتُبَيِّنُ أَنَّ الشُّهداءَ وإِنْ ماتوا بِأَجْسادِهِمْ فإِنهمْ أَحياءٌ

عِنْدَ اللَّهِ (تعالى) بأَرْواحِهِمْ وأَعْمالِهِمْ .

إِنَّ الشَّهِيدَ هو ذلكَ الإِنْسانُ الذى ماتَ وهوَ يُدافِعُ عنْ مَبَادِئِ الْحَقِّ والْعَدْلِ ، ولمْ يبْخَلْ بِرُوحِهِ ونَفْسِهِ على اللَّهِ (عزَّ وجلَّ) .

ولعَلَّ أَهَمَّ شَرْطٍ لِكَيْ يكُونَ الإِنْسانُ شَهِيداً ولهُ أَجْرُ الشَّهِيدِ ، هو أَنْ يكونَ قَاتَلَ فى سَبِيلِ اللَّهِ ، وأَنْ تكونَ نيَّتُهُ خالِصَةً لِوَجْهِ اللَّهِ . لأَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ فى حَدِيثِه الصَّحِيحِ :

«إِنَّمَا الأَعْمالُ بالنِّياتِ وإِنما لكلِّ امْرِئٍ ما نَوَى ، فمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللَّهِ ورَسولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلى اللَّهِ ورسولِهِ ،

ومَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيا يُصيبُها أَوِ امْرأةٍ يَنْكِحُها - أي يتزوجُها - فَهِجْرَتُهُ إِلى ما هاجَرَ إِلَيْه » .

والشَّهيدُ قدْ نالَ هذه الْمَكانَةَ بسببِ شَجَاعَتهِ وتضْحِيتهِ وجهادِه في سبيلِ اللَّهِ ودفاعِه عنِ الإِسْلامِ والْمُسلمين .

ولذلكَ قال رسولُ اللَّه ﷺ :

« للشَّهيد عِنْدَ اللَّه ستُّ خِصَالٍ :

- يُغْفَرُ لهُ في أَوَّلِ دُفْعَةٍ ، ويُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، ويُجارُ مِنْ عذابِ الْقَبْرِ ، ويأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبرِ ، ويُوضَعُ على رأسِهِ تاجُ الْوَقارِ ، الْياقوتة مِنها خيرٌ

مِنَ الدنْيا ومَا فيها ، ويزوَّجُ اثْنَتيْنِ وسَبْعينَ زوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، ويُشفَّعُ فِى سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِه » [رواه الترمذى]

وقدْ كانَ الرسولُ ﷺ حَريصاً على حَثِّ الْمُسلمِينَ علَى الْجِهادِ فِى سبيلِ اللَّه وطَلَبِ الشَّهادَةِ ، بلْ إنه هو نَفْسُهُ قدْ تَمَنَّى أَنْ يُقْتَلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ نَظَرًا لِمَا يَنَالُهُ الشَّهيدُ مِنْ كَرَامَةٍ ، وما يحْصُلُ عليهِ مِنْ مَكَانَةٍ عِنْدَ اللَّهِ .

فَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ :

قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ :

تضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرجَ فِى سَبِيلِهِ ، لايُخْرِجُهُ

إِلا جهادٌ فى سَبيلى ، وإِيمانٌ بى وتصْديق برُسُلى ، فهو ضامنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الجنة ، أَوْ أُرْجِعَهُ إِلى منزِلِه الذى خرج منْهُ بما نالَ مِنْ أَجْرٍ ، أَوْ غَنيمةٍ !

والذى نفْسُ محمَّدٍ بيَدِهِ ما مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فى سبيلِ اللَّهِ - أَى جُرْحٍ يُصابُ به الإِنْسانُ - إِلا جاءَ يوْمَ الْقِيامةِ كهَيْئَتِهِ يومَ كُلِمَ ، لَوْنُه لوْنُ دمٍ ، وريحُهُ رِيحُ مِسْكٍ .

والذى نَفْسُ محمدٍ بيدِهِ لوْلاَ أَنْ أَشُقَّ على الْمُسلمينَ ما قعَدْتُ خلافَ سَرِيَّةٍ تغْزُو فى سَبيلِ اللَّهِ أَبَداً - أَىْ ما تركْتُ غزْوَةً إِلاَّ وشارَكْتُ فيها - ولكِنْ لا أَجِدُ سعَةً فأَحْمِلُهُمْ ،

ولا يجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى .

والذى نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو فى سبيل الله ، فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » [رواه مسلم]

ولقد كان صحابة الرسول ﷺ فرسانا فى ميدان المعركة لا يخافون العدو ولا يرهبون جانبه لأن قلوبهم كانت معلقة بالله ، كما أنهم كانوا يطمعون فى الشهادة فى سبيل الله لكى ينالوا كرامة الشهيد .

فذات يوم وبينما كان المسلمون يحاربون العدو إذ قال الرسول ﷺ لأصحابه يحضهم على الجهاد والتضحية :

ـ قوموا إلى جنةٍ عرضُها السَّمواتُ والأَرضُ . فقال الصحابيُّ الْجليلُ عميرُ بن الْحمامِ :

ـ جنَّةٌ عرضُها السمواتُ والأَرْضُ يَا رسولَ اللَّه ؟

فقالَ الرسولُ ﷺ :

ـ نَعَمْ .

فقالَ عُميرُ بنُ الْحمَامِ :

ـ بَخٍ بخٍ ! وهى كلمةٌ تُقالُ عنْدَ الرِّضا والإِعْجابِ .

فسأَلهُ الرسولُ ﷺ عمَّا يَحْمِلُهُ على أَنْ يقولَ ذلكَ فأَجابَهُ :

ـ لاَ واللَّه يا رسولَ اللَّه ما قُلْتُها إلا رَجاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجنةِ .

فقالَ له النبىُّ ﷺ :

ـ فإنَّكَ مِنْ أَهْلِها .

وكانَ مع عُميرٍ تمراتٌ يأْكُلُها فرمَى بها وهوَ يَقُولُ :

ـ لئِنْ أَنا حَييتُ حتَّى آكُلَ تَمراتِى هذه ، إنَّها لحَياةٌ طويلَةٌ ! ثم قاتَلَ الْمُشركينَ قتالَ الأَبْطالِ حتى اسْتُشْهِدَ فى سبيلِ اللَّه وحصَلَ على ما كانَ يُريدُ .

هذا ويَجبُ أَنْ نعْلَمَ أنَّ الْجِهادَ فى الإِسْلامْ ليْسَ منْ أَجْلِ الاعْتداءِ علَى أَحدٍ ولا منْ أَجْلِ الظُّلْمِ والْبَغْيِ ، ولكنهُ منْ أَجْلِ إِعْلاءِ كَلمةِ الْحقِّ والدعْوةِ إلى الإِسْلامِ والدِّفاعِ عَنِ الْمُسلمينَ .

وقدْ أَمرنَا اللَّهُ بِالاسْتِعْدادِ والْقُوَّةِ فى كُلِّ وقْتٍ حتى لا يَطْمَعَ فِينا الأَعْداءُ .

فقالَ (عزَّ وجَلَّ) :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنفال : ٦٠]

اللَّهُم إنا نسأَلُكَ أَنْ تَنْصُرَ الإِسْلامَ وتُعِزَّ الْمُسلمينَ وأَنْ ترْفعَ رايةَ الإِسلامِ عالِيَةً خفَّاقةً فى كلِّ مكانٍ .

رقم الإيداع : ٧٩٣٢ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى : ٧ ـ ٧٦٥ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧